

## تشریح الحرب فوق طاولة الضاد

### الكاتب



نسيم الخوري

د. نسيم الخوري

تتقدّم الحرب العالمية الجديدة المرتبطة بروسيا وأوكرانيا على كل انتباه لفهم التداعيات ومخاطر المستقبل الاقتصادي المقلق في العالم، إلا أنني أرغب بتجاوز التخيلات وتحليلات «الخبراء» الحارة جداً والباردة هنا في أوروبا بالتذكير إلى الحروب «ضرورة ملاصقة لنشأة البشرية» وكتب فيها أرتسيباسوف

هذا صحيح، لكنّ الكاتب تسلّى في كتابه «خارج نطاق الشرعية» بتعداد هذه الحروب حتى 1988، فوصل إلى 14513 حرباً، فقدت البشرية فيها 3 مليارات و640 مليون إنسان وخسرت بتقديره شريطاً من الذهب عرضه 8 كلم وسماكته 10 أمتار يمكن تحويط خصر الكرة الأرضية به عند خط الاستواء. سيطول الشريط كثيراً لو أكملنا التسليّة عنه في احتساب الحروب بعد هذا التاريخ أي خلال 34 سنة، وخصوصاً من العراق والأحداث الشرق أوسطية والكورونا، ليعكس أماننا الدول العظمى التي تمسك مجلس الأمن وتعنيها مصالحها ومصالح حلفائها في الكرة الأرضية والبحار والفضاء.

من يتذكّر ملامح النزاعات الجيوسياسية عبر الثورات الملوّنة التي وصلتنا باسم «الربيع العربي» وكلها ارتكزت على «القوى الناعمة» وجرّت خلفها خرائب «الفوضى الخلاقة» للأنظمة وخلخلة الأوضاع والأسس تحت رحمة الانشغال الدولي.

صحيح أن روسيا قد تنبّهت وتتنبه لهذا الأمر بما أقلق أوروبا ودول العالم ولو متأخراً، وهي ترجمت وترجمت ذلك من خلال مقاربتها للعديد من الملقّات، كان آخرها استراتيجيتها المتأرجحة في حرب الغاز وأنايبه ومحاولة فرض أثمانه بالروبل الروسي بما يقلق العديد من دول العالم حول مستقبل العظّمة، وخصوصاً في تهديد الوحدة الأوروبية

نشرت في هذه الصفحة تطوّر السلوك الروسي في سوريا في استعادة عظمتها الإمبراطورية من هناك عبر دعمها الأولي غير المعلن للنظام إلى التدخل العسكري المساهم في قلب المعادلة على الأرض قاضياً على الأحلام بمدّ الغاز إلى أوروبا ومطيحاً بمشروع «نابوكو»، لينعكس إيجاباً على العديد من الملفات العربية واللبنانية تحديداً حيث صدّق لبنان نفسه بأنه يحتل موقعاً مميزاً على الخريطة الدولية، مع اكتشاف حقول الغاز الطبيعي الهائلة على شواطئه، وهي اكتشافات كان ينتظر أو ما زالت في دوائر الوعود الغامضة، بالرغم من تعقيداته السياسية الداخلية والإقليمية، الذي سيعيد استقراره وإنعاش اقتصاده وإزاحة صحرة الدين العام عن صدره والفقر عن كاهله. لنقل بأن التجاذبات القديمة بين الدب الروسي والنسر الأمريكي، والاصطفافات الداخلية في ظل هذه التجاذبات قد تؤدي إلى خلاف ذلك لتبقى شعوب المنطقة تدفع أثمانها في بناء المستقبل العربي الذي هو أبداً بحاجة دولية إلى إعادة بنائه بالمعاني الاستراتيجية المختلفة.

سأخرج من القلق العالمي والأوروبي - الفرنسي الذي أعيشه من باريس بالدقائق، مجازفاً بالقول بأن الإنسان حتى الغربي بمعناه السلطوي لم يخرج نهائياً بعد من قشرته الأولى، بل هو عاد ويعود إليها في حنين نرجسي غريب، حيث يمكنني سجن الحضارة والحرية والديمقراطية بين قوسين متسائلاً عن معنى هذا الجرف والنهم التاريخيين في الحروب وأهدافها. ببساطة الحرب هي الحرب التي تلازم إشباع غريزة العنف لدى الإنسان. وليس أفضل من اشتقاق مصطلح «حرب» تفسيراً له في لغتنا الضاد: الحرب هي الحبر الأحمر كيفما كان أو جاء؛ فلو أنه مشابه لدماء الجرحى والضحايا المهذورة المسحوقة كما الحشرات، وهو أسود عند توصيف الحروب أو في لباس الحزاني والمكلمين والتائهين الفارين من الموت الجائعين في الأرض.

والحرب هي الريح الفردي ومعه تأخذ وجهها الدولي الجميل لكنه الزائف والمؤقت والزائل حيث الانتصارات والنياشين والأوسمة وترقية الضباط والمقاتلين ورفع النصب التذكارية والتمثيل لهم والنقوش، حتى ولو كانت الأرباح عشوائية ومؤقتة ومكلفة وزائلة بتقلبات السياسة والأحلاف والمصالح بين الدول الممثلة بأفراد

الحرب رحبة في مداها التاريخي والوجودي الذي لا حدود فيه لأطماع الإنسان؛ إذ لم يترك البشر فيه نقطة أو حيزاً استراتيجياً لم يستثمر لمضاعفة القتل والفتك والتشنيع في الحروب. والحرب يراح في الأرض على مدى الأجيال في الذكريات واللوحات والمساحات والكتب المدرسية تستمر لتشغل بوطاتها الأزمنة والأمكنة والنصف المظلم من عقول البشر. والحرب أخيراً بهذا المعنى، بحور واسعة ومحيطات تختلط مياهها بالدماء وبدموع الجرحى والثكالي والمساكين في الأرض.

آه، لو أستطع نقل ما يتلفظ به طلابنا مثلاً في الجامعات الفرنسية في نابليون بونابرت؛ لا يُصدّق

[drnassim@hotmail.com](mailto:drnassim@hotmail.com)